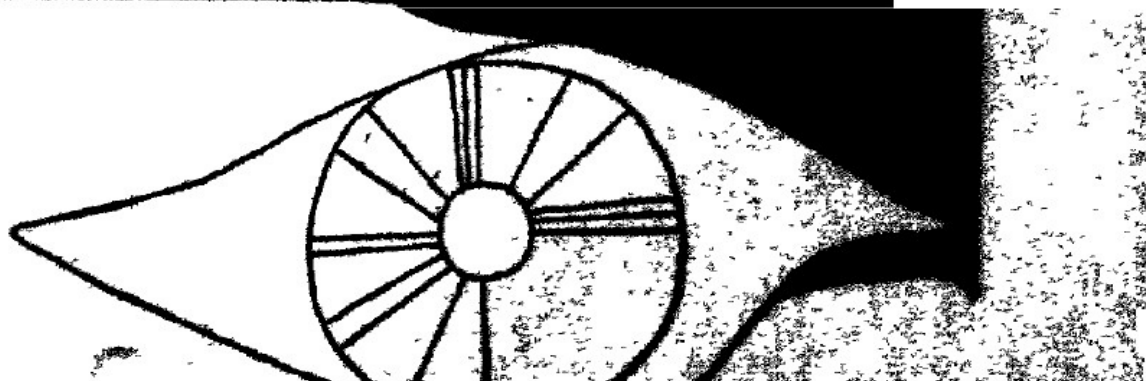
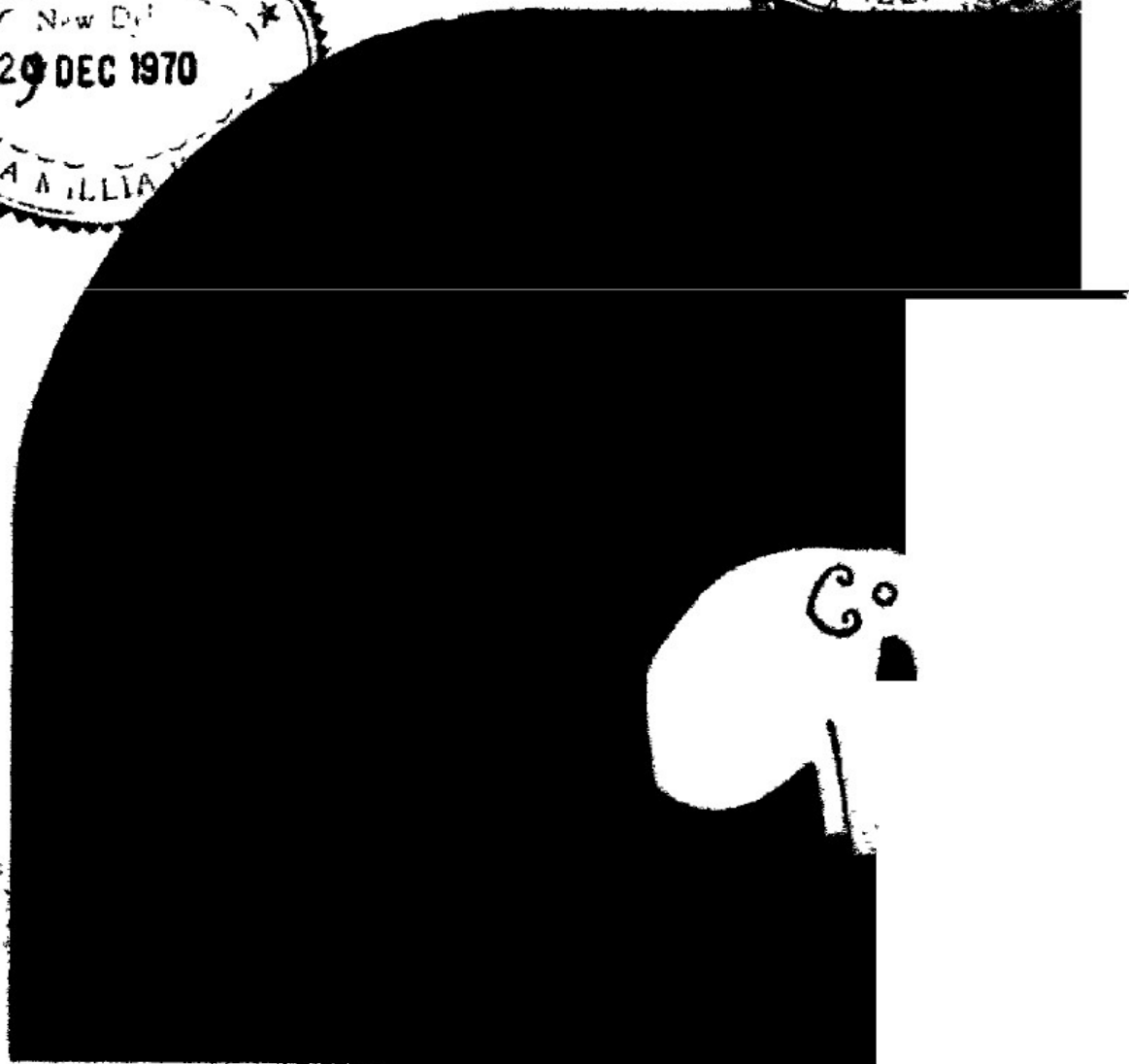


مفتيكم الحبيب

العدد الثالث يوليو سنة ١٩٧٠





محتويات العدد

صفحة

٥٤ مترولوجي شفق

٦ حروفك وعهد



جرونانك وعهده

للمنر ترلوشن شفع

ان عهد جرونانك سياسيا وثقافيا كان خطيرا للغاية في تاريخنا، وان انحطاط حكم الافغان، والغارات والاستيلاء على الهند من قبل الملك بابر، واشتباك القوات العصبية غير المتصالحة التي ندعو ونسمى كل احدى باسم الكفار ومليشاز، وارهاب ورعب الفاتحين والمفتوحين، والتعصب الديني بين العلماء المسلمين والهندوسيين، وتهيب وجبن الزعماء الدينيين لحركة بهكتي، والموقف التهمكي والمتشائم تجاه الحياة والمجتمع من قبل الیوجايين والطوائف الدينية المتقشفة الاخرى، فان تلك الفرق كلها خلقت وضعا وحالة التي لا فقط رثا لها جرونانك وشرح بحماسة في كتاباته بل كانت شيئا أن أحس هو نفسه معنيا وملزما للتغير، وبعض الشيء الذي أحس هو مدفوعا للتنديد وحث الناس مع امثال عليا وافكار حقيقية ثورية للغاية. وفي وجه الانقسامات الدينية والثقافية الشديدة اقام مزاملة ومعاملة اخوية وتفاهما روحيا بين الايدولوجيات الدينية المتعددة والثقافات عند ملتقى الافكار الاخلاقية العالمية والروحية المماثلة. وللتفاهم الكامل عن تحديات عهد جرونانك للحكمة البشرية وذكاؤها المفرط وتجاوبه لها فلنبحث الوضع السياسي والديني والثقافي منفصلا.

ان «نام ديو» في القرن الثالث عشر و«كبير» في القرن الخامس عشر كتبنا ترنيمات سيرة ذاتية عن معاناتهما الكفاحية التي كابداها على يد الملوك والحاكمين المستبدین، ويشكران للتدخل المعجز والاعجوبي من قبل قوة وقدرة الله غير المرئية، لانقاذهم من أن يقتلوا بقساوة، وليكنهما مانيسا ينبت شفة بالاحتجاج أى في كتاباتهما الضخمة ضد استبداد الملوك.

وكان جرء نانك اول من انتقد وندد برشاقة الملوك والحكام والرهبان المتعطشين للدماء، والى نعمات ثورية لفضح الفسق والخسة الاخلاقية فى المجتمعات العالية، ونبه ضمير الناس ضد الجور الذى عانوه فى كل مجالات الحياة. وقال «ان الحياة هى مثل السيف المسحوب وان الملوك هم الجزارون وان الصداقة والعدالة نادرة الوجود، وان العمر ككلب الشارع الذى يعيش على دم وعظام المستغل. يعيش الملوك والحكام فى الفجور والآثام وبدلا ان يحموا الناس فانهم جابوا الوباء فى البلاد وأن الحاجز يتلع الحديقة، ويقول جرو نانك، «ان الملوك كأسود ضارية متعطشة للدماء، والوزراء هم مثل كلاب شرسة صيادة. انهم يعذبون ويهينون ضمير البشرية. وان الرسميين يستنزفون دماء الابرياء بمخالبهم من الضنائة والطمع. والوزراء مثل كلاب يشربون دماءهم^٢، «ويتصنع الاشرار انفسهم كالابرار ويتجاهل كرام الناس وعقلاؤهم. يعتبر الرجل الاعمى قاضيا طيبا ويتبع، فمثل هذا الجمل يسود العالم. ان الذين هم عقليا واخلاقيا متيقظون يعتبرون غير نافعين وان الذين هم عقليا وروحيا ميتون يعتبرون احياء وكبار الناس^٣، يقول نانك مرة اخرى «فى هذا العهد المظلم صار الناس مثل الكلاب وانهم يأكلون المنافع التى حصلت بصورة غير شرعية وينجحون ويصبحون باقوالهم

(١) ادى جرتته، نانك ١ ص ١٤٥

(٢) بهائى جرداس فر ١/٣٠

(٣) ادى جرتته نانك املار ص ١٢٨٨

(٤) ايضا ص ٢٢٩

الكذب جهرا . وبدون إعطاء أى فكرة الى الاستقامة ليست لهم كرامة في الحياة ، ويتركز انبعاثا مكروها بعد الموت .

ورثاء واحتجاجا ضد مذبحة الرجال والنساء على نطاق واسع في «امين آباد» على يد «بابر» خلال هجومه الثالث ، غنى جرونالك نعمة الموت المحزنة بشأن مذبحة شنيعة في الفاظ رائقة . «كانت المذبحة مخيفة وكانت صراخ المكابدين عالية . أما ايقظت الرأفة والرحمة فيك يا الله ؟ ان تهاجم قوة عظيمة على قوة عظيمة اخرى لايتأسف أى احد ولايقدم احد الشكوى . ولكنه حينما تصيد الاسود المفترسة والضارية المواشى العاجزة فيلزم أن تجيب ايها الراعى عن ذلك .»

وكتب جرونالك اغنية عن كل من هجمات اخيرة وان كل اغنية تحليل خطير للحوادث وتترك درسا للتاريخ وللجيال القادمة . ان اول جملة استشهدت من قبل صارت نداء ضمير فرقة السيخ وامارتهم الى قرون مع الحب الحر والحرية والمساواة . وشرح لنا انه حينما تستولى القوات الكبيرة على الشعوب الضعيفة وتقيم دكتاتوريتها بتفوق عسكري فيلزم أن لايقى العقلاء ومثقفوا العقول في الدنيا كشاهدين بكم لمثل هذا الاستبداد . فيلزم أن يعيشوا روح الشجاعة والرجاء في الشعوب الضعيفة والصغيرة وبأن يساعدوا في حروبهم ونضالهم للحرية والمساواة .

والاغنية الثانية هي عن مذبحة لاهور والتي تشرح لنا انه عاجلا او آجلا تلحق الآهة النعمة الملوك والحكام والاعنياء الذين لا يكثرثون

(١) ايضا سارنج ص ١٢٤٢

(٢) ادى جرثم ، نانك ، بابر فاني ، ص ٣٦٠

لحاجات وطلبات الفقراء وان الذين يتأوهون تحت استغلالهم . ان ما استطاعوا على قلب حكمهم فان القضاء والقدر سوف يعاقبهم ويعذبهم الله . ان النساء اللاتي يضعن وينفقن آلاف من الروبيات في ترفهاتهن وهن هن كن الآن ضحايا التوحش الحنيف للغاية وان جماهن وثروتهن التي حصلت بوسيلة غير شرعية وموجوداتهن الكبرى قد صارت اكبر عدو لدود لهن . ان كانت حاذرت هذه الفرق من الحاجة القادمة هل كانت وصلت الى مثل هذه الورطة ؟ ومتابعا الحب الدنياوى والشهوات الجسدية فان امراء الهند قد فقدوا عقولهم . ان التدنيس والدمار يتابع آثار اقدمهم .

والسطور المذكورة ادناه من الاغنية الثالثة بشأن حرب دبانى بت ، الحاسمة تشرح درسين آخرين « الاول ، ان تلك الشعوب تستطيع فقط ان تدافع عن حريتها التي تحارب مع الاسلحة الفائقة والشجاعة الاخلاقية الكبرى و « الثانى ، أن الملوك والحكام والأمراء والشعوب التي تعتمد على المنجمين والكاهنين فانهم سيهلكون . يكتب جرونانك : —

تفشيت حرب شرسة بشدة .

بين المغول والبتهان ،

ولمعت السيوف واشتبكت في ميدان الحرب ،

نصب المغول بنادقهم واطلقوا النار ،

وحارب البتهان راكبين على افيالهم ،

وسمعا ان بابر كان يجيئ

استعمل وكرس الرهبان والكاهنون الرقيات ،

مؤكدون انهم يعمون المغير .

وجاء بابر دفعة واحدة ،

احرق ومحق القصور ودمرها ،

وقطع الامراء فى اجزاء .

ورؤسهم تمرغت فى الغبار ،

وما أفادت رقيات وسحر الاولياء . —

ما كان جرونانك بمسلم وكان ثوريا متقدما الذى كان قلبه وقوله
حادين اكثر من السيف . واستعملهما فى مجابهة مباشرة مع الملوك والحكام
والامراء . ان الشجاعة وحب الحرية التى لقنت حياته وكتاباتاته جعلت
السيخيين الشهداء ومقاتلى الحرية غير المنيين .

وكانت هناك خمس حركات دبية التى كان على جرونانك ان
يواجهها والتى طبقا لكتاباتاته كانت ذات اثر عظيم على اذهان الناس .
وكانت تلك الحركات كالاتى :-

١ — حركة يوجا

٢ — حركة التصوف

٣ — حركة بهكتى

٤ — حركة الالحاد وشكتى

٥ — حركة احياء العصية

وكرس المورخون والعلماء ووقفوا حياتهم على دراسة حركة
بهكتى باعطاء الافضلية الى النظمات الدينية بهكتى وتجاهلوا الاثر العظيم
الذى كرس من قبل الحركات الاربعة الاخرى .

(١) حركة يوجا :- لاشك أن جرونانك استحسن طاقات الیوجیین
الدائمة واستحسن سلامة أذهانهم للغاية وطمأهم وعطشهم للمعرفة القائمة
على التجربة ولكنه ندد بشدة تشاؤمهم وزهدهم واستخفافهم للنساء وتصرفهم
وعاداتهم ضد المجتمع والتصرف غير الاجتماعية وانفراديتهم الخطرة .
على كل حال كانت هناك نقاط قوية للمماثلة ایضا بین یوجا واعتقاد
وايمان جرونانك . كلاهما قاوما بشدة الفكرة البرهمنية المجردة للنظام
الرباعى للمجتمع والبيئة . وطرد كلاهما الشعائر غير البافعة وكتب الطقوس
والفرائض واكد على التجربة البدیة والوحى المبهم للمعرفة الباطنية .
وعلق كلاهما الاهمية على ان رقابة وقيادة الذهن تؤدي الى الرقابة والقيادة
على الحياة . وقاوم كلاهما حواجز وموانع اقليمية وقومية . وأصر كلاهما
على النظام الشدید المؤدى الى « طورية » و « شمادهى » و « انها تاسبده »
ولكن جرونانك استنكر بشدة الوسائل التى يكرسها الیوجیون .

ولكنه على المستوى الاجتماعى والثقافى وجد جرونانك نقضا كاملا
للقيم البشرية فى نظام یوجا الدينى . ولمقاومة اثراتها غير الصحيحة وضد
المجتمع والبشرية زار جرونانك كل معقل الیوجیین من « كيلاش » الى
« كنيا كمارى » ومن « آسام » الى « قمة جبل آبو » . وكما يشرح لنا
« بهلى جروداس »

أنه أجرى مناقشات فقهية وجعلهم أن يتراجعوا من السبيل غير المستقيم .

(٢) حركة التصوف :- كان هناك ثلاثة انواع للصوفيين خلال عهد جرونانك .

(١) الذين جدوا في طلب رعاية وعناية الملوك والحكام وكانوا يتوسلون للطاقة المادية والاهمية . وكان جرونانك منتقدا ومنندا عنهم للغاية .
(٢) و كان هناك تجارا اعجوبيين الذين استغلوا الجهال والفقراء والمساكين بعرض القوات السحرية .

(٣) الذين كانوا المسلمين الصادقين و المبتعدين عن الاغنياء و الملوك والحكام والامراء وتخطوا وتمسكوا بكل نظريات الاسلام المتعصبة وطمحوا واشتاقوا بعد التجربة العليا من الصدق . فمثل هذا صار الصوفيون لا فقط اصدقاء و تابعي جرونانك المخلصين بل احتفظ جرونانك كتاباتهم وعرف نفسه تماما مع عملهم وفكرتهم . ولذلك اعتبر اولياء طريق التصوف « الششتي » والصوفيون من طريق التصوف « القادري » الدين السيخي متماثلا ووحيا في نظامه وترتيبه وهدفه مع نوع من التصوف الذي وعظوا عنه ومارسوه . وسرد هذا من قبل كتابتي بغداد العربية اللتين كشفتنا اخيرا . يقول « ركن الدين » عن جرونانك حصل جرونانك الولي البراعة في كل علم وخاصة في الادب الاسلامي وتفسير القرآن والعقائد الدينية والادب العربي والفارسي وكان متقدما تماما فيها . وحارب لمحو الاضطهاد الذي كان يسود العالم . وكان يكاد أن يحصل المسكين والفقير حقوقه وكان يكسر عجب المتكبر . كان هو

(١) سدنانم اوتار سبهم جست كركركن فاديا : بهائي جرداس فار

اعلى نموذج للتقوى و نموذج مسافر . يلزم أن تدرس كل الاديان لتمييز الطيب والصالح من الخبيث والسئ . ان السفر حول العالم يلزم أن يبدأ بروح فقير وبائس . قضى جرونانك أكثر حياته في الهند . ان عفته وكرامته كانت مثل الروح الطاهرة المحتوية على جرائم منتخبة وواضحة ، وكان روحه جلياً وواضحاً الى هذا الحد كانه كان غير مهتم وما كانت له أى علاقة مع الأشياء عديمة الذوق من الدنيا . وكان يستطيع جرونانك ان يشفى المرضى وان يخدم الفقراء والعلماء . وكان يؤلف الاشعار في اللغة العربية و كان يحب الادباء والشعراء . وقدمت افكاره الاسس لكل ادب و لكل شاعر مجد و كرامة الذى ينعكس في اشعاره ، ان ترسيماته بنفسها كانت تستميل الى افكار كانها كانت مغنيطيسا .

و الكتابات الاخرى تحمل الشهادة لحيقة ان جرونانك عرف نفسه مع الحقائق العميقة الاسلامية كما هى انعكست في حياة و عمل الصوفيين المكبار فقط بعد دراسة عميقة ومخلصة للغاية لآدابهم ، وكجاد لحصول الحق و شارحه كانت لجرونانك شجاعة للاعتراف بالحق في كل اديان اخرى والاقرار بها . وكانت له شجاعة لانتخاب الآداب من كتابات الصوفيين واحتفظها كجزء اساسى كالكتب المقدسة للمسيحيين . ورفض هو ايضا الشئ الذى كرهه .

(٣) حركة بهكتى :- يستعمل المورخون لفظ « حركة بهكتى » باغماض كما يستعمل لفظ الاشتراكية والديموقراطية اليوم . وكانت هناك كالامر الحقيقى ثلاث أو اربع حركات معروفة مثل بهكتى نظام كرشنا

الدينى ، نظام راما الدينى ، ونظام شيوا الدينى الذى استمر وبقي كحركة بهكتى . ان متبعى حركات بهكتى ما كانوا متفقين فى عبادة الربوبية ولاطريقة عبادتهم ولا فى وسائلهم للتقرب الى مشاكل اجتماعية وثقافية . وكانوا متباينين فى عقائدهم برموزهم وسنتهم وشعائريهم . وفى زمن كان هناك اختلاف وتخاصم وعداوة للغاية بينهم حينما جعلت المحاولات لتحويل معبد «شيوا» الى معبد «فشنوا» والعكس بالعكس .

عارض جرونالك بشدة مثل هذه الحركة لبهكتى والعبادة وقال انه كان كفرا نداء «كرشنا» التاريخى أو «راما» التاريخى باسم الله الكائن الرسمى . وما كانت ثمة شئ شنيعا لذهنه الا عبادة اوتار أى الرسل وكل شئ شامله . ان تسعين فى المائة من حركة بهكتى كان مثل هذا النوع والصنف من الحركة . ان عاطفيتها ابادت حياة القوة السياسية والثقافية . ان الناحية البطولية لـ «راما» و «كرشنا» قد تجوهمت تماما من قبل هؤلاء المتبعين كما نسى هذا ايضا ان «راما» و «كرشنا» وقفوا حياتهما الكاملة لمحاربة الاستبداد والجور .

وكان هناك قليل من الناس من متبعى حركة بهكتى الذين تمموا هذه الحركة بهكتى . ونهضوا بواسطة التجربة المبالغة فوق ذلك واعطوا التعبير الى الايدولوجية الدينية التى كانت مماثلة مع فكر جرونالك . يرفض «جروجيتا جاوندا» لـ «جى ديوا» ولولا أنه يعتبر الأشعار موحية بها ولكنه يرحب بترنيمات «جى ديوا» على تجربة هامة لله التى لا ذكر فيها عن «كرشنا» وكانت الكتب الاخيرة مثل ذلك لـ «نام ديو» و «رام نندا» ، قد تجاهل عنها . قد ولد «كبير» مسلما وما كان أبدا عابدا «كرشنا» أو «راما» .

لذلك يقوم « كبير » بعيدا من هذا وهو أقرب لجرونانك . يقول جروز « مرات عديدة انهم معترفون بتقليد متبعي حركة بهكتي المتورين بنور الله ويذكرون اسماءهم كـ « جى ديوا » و « نام ديوا » و « كبير » و « روى داس » و « ترلوشن والآخرين . فانهم يتبرؤن وينددون بحركة بهكتي في التاريخ . ان هذا خطأ تاريخي واعتقادي لتعريف جرونانك مع الموج العام لحركة بهكتي .

(٤) حركة الالحاد وحركة شكتي :- في الميدان الديني كانت هناك حركتان آخرتان طبقا لما تكشف كتابات نانك . احدهما كانت حركة الالحاد الدينية لفرقة « جين » التي انتقدها جرونانك بشدة لمظهرها الالهادي ولبعض المزاوالات الاخرى .

قبل جرونانك مذهبى « شيوا » و « شكتي » كطاقات روحية ومادية أو كناحييتين لطاقة اقتصادية . ولكن عقائد بهكتي في المذهب الهندوكى اعتاضت « شيوا » و « شكتي » بواسطة الرمز اليهما لشخصية غامضة لـ « رادها » « كرشنا » و « سياترام » ولدرجا وشيوا ولكن « شكتي » في الدين السيخى تطرد من قبل شيوا (الروح) ويلزم للرجل أن يذهب وراء ذلك وينجز التجربة الرفيعة . ان متبعي وعابدى « فاماكريز » و « شكتي » يشاركون في عبادة شكتي مع التسامى الطقسى في الخمر واللحم والاتحاد الجنسى . و اصرت فرقة « طانطرك » أن الاتحاد مع الله يمكن أن يحصل فقط مع الاتحاد الجنسى . ان هذه الحركة التي كانت اقوى حركات خلال عهد جرونانك قد انتقدت ونددت بشدة . ان لفظ « شككتا » مقترن مع الآثام والجرائم

(١) فرمجم نانك ١ - ١٤٩

(٢) سيوسكتي بهائي جرداس فر ٦ ، ٢١

القيصة والسيرة في الكتب المقدسة السيخية . يندد جرونانك بصراحة بهذه الحركة ويسمى باسم متبعي حركة شكتي والملحدين والماديين والمنافقين .

(٥) المنعشون العصبيون :- ان من بين الاعداء اللدودين للسيخية أى للصدق واتحاد البلاد خلال عهد جرونانك حتى في عصرنا بنفسه ما زالوا المنعشين العصبيين في الهندوكية والاسلام . قاد البرهمنيون هذه الحركة في الهندوكية والقضاة في الاسلام . يترك الصدق بعيدا حينما يخاصم البرهمنيون والعلماء المسلمون بوضاحة حتى الى حين الموت . انتقد هؤلاء بشدة ، واللوم للبلايا والمصائب الاجتماعية والسياسية في البلاد تتجه اليهم . حينما لاقت حركة يوجا حتفها الطبيعي ، ومحيت حركة بهكتي والتصوف من قبل هذه الحركة للمنعشين العصبيين كما أن هذه الحركة ايضا مسئولة لتقسيم وتجزئة هذه البلاد . بقيت السيخية لانها صنعت من قبل جروز (Gurus) للدفاع عن نفسها بالسيف وبنيت معاهدها كالصخور والمستقلة ليتمكن أن تبقى وتحيا السيخية بدون أن تكون صيد البرهمنيين والعلماء .

يبرز ويشرح جرونانك في كل كتاباته بدون رافة النفاق والترفض والاستبداد الاجتماعي والممارسات والمزاوالات الفاسدة والخبيثة للبرهمنيين والقضاة . وحالف هؤلاء المنعشون مع القوات السياسية المخربة واصابت اضرارا فادحة الى وحدة البلاد وثقافتها ما قام جرونانك فقط بصرامة ضدهم ولكنه حاربهم على كل مستوى .

وحينما ننظر الى عهد جرونانك وعهدنا نجد اننا نواجه مرة اخرى وضعاً مماثلاً من الحرب الايدولوجي وعدم تسامح الطريق الاوسط والعصية السياسية والثقافية وسوء التفاهم وريبات بين الفرق الدينية والثقافية

والسياسية . ان طريق جرونانك لعله هو المخرج الوحيد وحتى يكابد متبعو جرونانك الامراض التي رغب أن يمحوها لانه حيث قال جرونانك عن عهده فيمكن لنا أيضا أن نقول ان الجمهور بدون المعرفة اعمى ويفرون لمضى وقضاء حياة القيم الزائفة . كل فقير وسائل يرغب أن يكون ملكا وحاكما وكل احمق يعيق كعالم . ان كل رجل اعمى ذوخبرة عن الجرائم وأن الاشرار بوضوح يتشخصون انفسهم كالزعماء الدينيين وأن الكاذبين يقدررون كرجل سالم مؤقن . ونحن الكتاب والعلماء والمؤرخين المجتمعين هنا فاننا المشاهدون الاخرسون لكل حادثة غير مرغوبة التي تحدث حوالينا . فان لم ندرس درسا من الشاعر والعالم العظيم جرونانك بأنه افراديا واجتماعيا يازم أن نقوم بقرة وصرامة ضد النفاق الثقافي والسياسي والفساد في الدوائر العليا والترفض الايدولوجي وانه يلزم ان نندد باستبداد القرات الكبيرة ضد الشعوب الصغيرة ، واننا نحن الهالكون ، وكتابت لنذكر في التاريخ كقبيلة ملعونة المقضى عليها ببخت شقى للحياة والعيش مثل الجبان ، وكاتبين مثل عباد خاضعين للقوات الحاكمة . ان عهدنا ليس أحسن عهد من عهد جرونانك ويلزم ان ندعم بصرامة وبفخر تراث جرونانك ونحتفظ القيم التي لها هو عاش ومات .

تعريب محمدانس الندوى